الفصل الرابع

علاقة المجتمع الإسلامي بالمجتمع المادي

● سخرية الماديين من المؤمنين ـ اصرار الماديين على مطاردة المؤمنين هدف من أهدافهم ـ الاسلام يحرم المصاهرة بين المؤمنين والماديين ـ حيطة المؤمنين فى صلاتهم بالمخالفين للايمان ـ العدل لا تسفطه خصومة او بغضاء ..

علاقة المجتمع الاسلامى بالمجتمع المادى

● **سخرية الماديين من المؤمنين :**

ظاهرتان أساسيتان يتميز بهما أصحاب الاتجاه المادى فى الحياة . وهم الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله . ويسميهم القرآن مشركين ، أو جاهليين .

الظاهرة الأولى : استغراقهم فى حب الحياة الدنيا ومتعها المادية ، وانخداعهم بها ، واتخاذهم كل سبيل ولو منكرة غير إنسانية للحصول على المال أو المادة ، وردهم كل شيء فى الوجود فى نشأته أو تطوره ومراحل نموه إلى المادة وحدها . يقول تعالى فى وصف خداعهم بالدنيا : « **زين للذين كفروا الحياة الدنيا** » (١) .. ويقول فى وصف إيثارهم المتع المادية على كل قيم إنسانية : « **وويل للكافرين من عذاب شديد . الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة** » (٢) .. ويقول فى توضيح تهافتهم على طلب هذه المتع : « **والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام** » (٣) .. ويشبه إقبالهم على الدنيا فى تهافت لا يميزون فيه بعضهم عن بعض ، بصنيع الحيوانات عندما تشترك فيما يقدم لها من مؤن ، أو فيما تعثر عليه منها . فهى لا تعرف آنئذ سوى ذواتها ، وتخاصم كل ذات منها الذوات الأخرى ، ولو كانت أولادها ، أو صاحبة صلة قريبة بها .

الظاهرة الثانية : سخريتهم فى أحاديثهم ، وفى مواقفهم ، وفى حوارهم ، من المؤمنين ، ومن كتابهم ، ومن رسولهم . فلو سئلوا عن القرآن لقالوا : أساطير الأولين : « **وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين** » (٤) . ولو سئلوا عن الوحى لقالوا : كذب أعانه عليه قوم آخرون : « **وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم**

---

(١) البقرة : ٢١٢
(٢) ابراهيم : ٢ ، ٣
(٣) محمد : ١٢
(٤) النحل : ٢٤

آخرون » (٥) .. وقالوا عنه هو عليه السلام : إنه مسحور « وقال الظالمون إن تتبعون الا رجلا مسحوراً » (٦) .. ولو سئلوا عن تقييمهم للمؤمنين لأجاب القرآن عنهم بقول الله تعالى : « **ويسخرون من الذين آمنوا** » (٧) ..

وسخريتهم من رسالة الله . ومن المؤمنين ، تعود لسبب واحد . وهو أن رسالة الله فى القرآن تقف من المادية أو الجاهلية موقف المقاومة والكشف عن آثارها الضارة والمخربة بالنسبة للإنسانية ، والعلاقات بين الناس . والوحى المكى كله فى القرآن نزل فى الدعوة إلى الوحدة فى الألوهية . ونفى الشرك والوثنية فيها . والشرك هو إشراك غير الله معه فى العبادة . والوثنية هى الاتجاه بالعبادة وبالإيمان لغير ذات المولى سبحانه : وبطبيعة الحال من يجعلون أنداداً لله ، أو من يتخذون آلهة من دون الله ، يستحيل عليهم أن يتكافأوا مع الله . ومن هنا تكون دعوة الشرك والوثنية دعوة إلى إذلال الإنسان بجعله عابداً لما لا يستحق العبادة .

أما تقييم الله للمؤمنين فهو أنهم فى الجزاء الأخروى فوق هؤلاء الماديين فى منزلة عليا قطعاً ، بالرغم من أنهم فى الدنيا قد يكونون أقل حظا منهم فى المال ومتع الحياة : « **والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ، والله يرزق من يشاء بغير حساب** » (٨) .. لأن الرزق المادى فى الدنيا ليس دليلا على رضاء الله عن صاحبه . بل قد تكون كثرته لمزيد من الابتلاء والاختبار .

وسخرية الماديين للمؤمنين : بسبب إيمانهم ، فى محاولة منهم لردهم على أعقابهم ، أو لإثنائهم عن مواجهتهم بما قاله الله فيهم من أنهم مصدر الفساد فى الأرض ، أو لصرفهم عما يطلبه منهم من عدم مودتهم فى قول الله تعالى : « **لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم** » (٩) .. فلا يجتمع فى قلب إنسان معاً : إيمان بالله ، ومودة للجاهليين أو الماديين ولو كانوا قريبو الصلة به .

* * *

---

(٥) الفرقان : ٤
(٦) الفرقان : ٨
(٧) البقرة : ٢١٢
(٨) البقرة : ٢١٢
(٩) المجادلة : ٢٢

● **اصرار الماديين على مطاردة المؤمنين هدف من أهدافهم :**

فى وصف الماديين أو الجاهليين فى علاقتهم بالمؤمنين ، يقول الله تعالى . « **ولا يـزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينـكم ان اسـتطاعوا** » (١٠) .. فيجعل القرآن أن من سمات الماديين : حرصهم على مقاتلة المؤمنين ، وعلى تتبعهم ، وعلى مطاردتهم وملاحقتهم بالأذى والتعذيب ، محاولين ردهم عن دينهم ، إن تمكنوا من ذلك . فهدفهم الأخير إذن : رد المؤمنين عن دينهم ، عن طريق وسائل القمع والإبادة .

ومن السهل إذن أن يتعرف الإنسان على اتجاه المادية فى المجتمع : فى قيادته .. وفى حكمه .. وفى نظامه ، بالهدف الأول الذى يسعى المجتمع إلى تحقيقه . فاتجاه ما يسمى بالثورة فيما بعد الحرب العالمية الثانيـة : ضـد المؤمنين ـ وقد ينعتون بالرجعيين ـ والتنكيل بهـم ، وتتبع تشـكيلاتهم وتجمعاتهم ، والنيل من أقربائهم وأصدقائهم ، وتدبير المؤامرة تلو المؤامرة لتشتيت قوتهم ، والحساسية من ظاهرة التدين وعدها جريمة اجتماعية . كل هذا يشير فى وضوح إلى سيطرة المادية أو الجاهلية فى المجتمع .

وعلى نحو ما يراه الإسلام فى الشرك ـ وهو ظاهرة المادية أو الجاهلية ـ من أنـه جريمـة لا تغتفـر : « **ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشـاء ، ومن يشرك بالله فقـد افترى اثمـا عظيـما** » (١١) .. ترى المادية أو الجاهلية فى دين الله أنه صورة من صور الخرافة ، وأسطورة من أساطير الأولين . فالمادية ودين الله أمران متنافران ، ولا يمكن أن يتلاءم أحدهما مع الآخر ، فأما دين الله فله الغلبة ، وأما المادية فلها الكلمة . والقرآن الكريم لهذا يفسح فى الوحى المكى المجال ليوضح الآثار الضارة على البشرية ، عندما تطغى الجاهلية أو المادية ، وتسود مجتمعا من المجتمعات الإنسانية : « **الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ، أولئك اصحاب النار ، هم فيها خالدون** » (١٢) ..

ويجب على المؤمنين إذن ألا يفارقهم الاعتقاد لحظـة ما : بأنهم هـدف

---

(١٠) البقرة : ٢١٧ (١١) النساء : ٤٨

(١٢) البقرة : ٢٥٧

للماديين أينما كانوا . ومن هنا يجب أن يكونوا محتاطين فى معاملاتهم ، وألا يسعوا إلى التقرب منهم إلا فى حدود الضرورة ، وألا يتخذوا منهم أنصارا أو أولياء وأصدقاء « **انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون** » (١٣) .. فالنصر معقود لدائرة المؤمنين إن هم اتخذوا الله ورسوله أولياء ، واتخذوا كذلك : بعضهم أولياء بعض . وما يوجهه الله جلت قدرته من نداء للمؤمنين فى أول سورة الممتحنة كفيل بأن يفتح عيونهم على الخطأ الجسيم ، إن هم قدروا عدوهم الحقيقى ــ وهو المادى أو الجاهلى فى كل عصر ــ على غير ما هو عليه واقعه الذى يكشفه هنا قوله تعالى« **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق** (فقد جعل هؤلاء الماديين أو الجاهليين أعداء لله ، وأعداء للمؤمنين بالتالى . لأنهم كفروا بالدين وهو رسالة الحق ، فمن الخطأ أن يمد المؤمنين إليهم يد المودة وعلاقة القربى) **يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم** (ثم يوضح لماذا ينهى الله عن أن تكون للمؤمنين علاقة مودة مع هؤلاء الماديين : بأنهم اضطهدوا المؤمنين بسبب إيمانهم فتتبعوهم حتى أخرجوهم من ديارهم وحملوهم على الهجرة إلى يثرب) **ان كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى وابتغاء مرضاتى ، تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما اخفيتم وما أعلنتم ، ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل . ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون** » (١٤) .. ويزيد القرآن هنا فى سبب النهى عن مودة الماديين فيقول : إن كفرهم بالحق ، واضطهادهم المؤمنين وهم بمكة على عهد الرسول عليه السلام بسبب إيمانهم ، لم يكن صدفة ، كما لم يكن مقصودا به أشخاص الرسول عليه السلام ، وصحابته من المؤمنين المكيين وحدهم . وإنما عداوتهم أصيلة للإيمان . فأينما وجدوا الإيمان بالله ــ فى أى مكان ، وفى أى عصر ، وأينما وجدوا المؤمنين من العرب أو غيرهم على السواء ، فهم أعداء لهم : « **ان يثقفوكم** (بعنوان كونكم مؤمنين فى أى مكان : اليوم ، أو غد) **يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون** »

---

(١٣) المائدة : ٥٥ ، ٥٦ (١٤) الممتحنة : ١ ، ٢

فهم لا يتحرجون من إيذائكم بكل وسيلة تنـال من مادياتكم ومعنوياتكم إذ هدفهم الأخير ردكم عن دين الله ، وعودتكم كفاراً تنكرون الله واليـوم الآخر ، ولا تحرمون ما حرم الله ورسوله .

* * *

● **الاسلام يحرم المصاهرة بين المؤمنين والماديين :**

إنسان يؤمن بالله واليوم الآخر .. ويحـرم ما حرم الله ورسـوله ..

وإنسان آخر يكفر بالله واليوم الآخر .. ولا يحرم ما حرم الله ورسوله ..

.. إنسان يؤمن بالروابط الإنسانية ، ويمارس المحبـة والمودة والإخاء والتعاون مع الآخرين .

وإنسان آخر لا يؤمن إلا بالمبادلات والمنافع المادية فى العلاقات ، ويمارس الأنانية ، والحقد ، والانتهازية ، والنفاق مع الآخرين .

.. إنسان يعطى من نفسه ، وهو من أولئكم الذين يطعمون الطعام على حبه مسكينا ، ويتيما وأسيراً ، ومع ذلك يقولون : **« انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً »** (١٥) ..

وإنسان آخر لو سئل عن معاونة الآخرين كان من أولئكم الذين يقولون تهـكما : **« أنطعم من لو يشاء الله أطعمه »** (١٦) .. لأنه من أولئـكم الذين يأكلون التراث أكلا لماً ، ويحبون المال حباً جماً .

.. إنسان يدعو إلى الخير ، ويمشى فى النور ، ويحرص على أن تظـل سبيل الله مستوية .

وإنسان آخر لا يعرف الخير إلا لذاته ، ويمشى فى ظلمات الضـلال والحيرة ، ويبغى أن تكون سبيل الله معوجة .

.. إنسان يرى الحياة الدنيوية مرحلة إلى حياة أخروية أفضل منها فى النـوع ، وهو من أجـل ذلك يعمـل للمرحلتين ، ومن الذين يقولون :

---

(١٥) الانسان : ٩ (١٦) يس : ٤٧

« **ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** » (١٧) ..

وإنسان آخر لا يرى إلا هذه الحياة ، وهو من أولئكم الذين يقولون : « **إن هى إلا حياتنا الدنيا** » (١٨) .. أو على الأقل من أولئكم الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة .

.. إنسان يعبد للناس طريق الهداية .

وإنسان آخر يصد عن سبيل الله .

.. إنسان يفرح بفضل الله على رسوله عليه السلام ، فيما أوحى إليه من قرآن وفيما كلفه من دعوة التوحيد فى الألوهية .

وإنسان آخر هو من أولئكم الذين « **اذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون** » (١٩) ..

.. إنسان يعتز بصلته بالله ويتوكل عليه وحده .

وإنسان آخر من أولئكم الذين إذا سئلوا عما يعتزون به فى الحياة قالوا « **نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين** » (٢٠) ..

هذان النوعان من الإنسان ، أحدهما يؤمن بالله والآخر يشرك به . وهما لا يلتقيان أبداً . وليس بينهما جامع مشترك سوى الطبيعة البشرية التى تحددت بالفعل باتجاه كل منهما فى الحياة ، وهو اتجاه يخالف الآخر تماما .

والفجوة بين النوعين كبيرة ، وليس من السهل التغاضى عنها . ولذا يحرم الإسلام : أن يتزوج مؤمن مشركة . وهى المادية التى تكفر بالله ، وتنكر اليوم الآخر ، كما يحرم أن يتزوج مشرك مؤمنة . فى الوقت الذى يبيح فيه للمؤمن أن يتزوج كتابية : نصرانية أو يهودية : « **ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ، ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم** » (أى طالما بقيت المشركة على شركها فلا يجوز اقتران المؤمن بها . وفى هذه الحالة الأمة المؤمنة ــ وهى الرقيقة ــ أفضل منها . لأنها بإيمانها قريبة إلى قلب المؤمن) ..

---

(١٧) البقرة : ٢٠١ (١٨) الأنعام : ٢٩

(١٩) الزمر : ٤٥ بلفظ : « وإذا ... » (٢٠) سبأ : ٣٥

ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنـــوا ، ولعبـــد مؤمن خـــير من مشرك ولو اعجبكم » (٢١) .. كذلك طالما بقى المشرك على شركه فلا يجـوز لمؤمنة أن تقترن به . وفى هذه الحالة العبد المؤمن ــ وهو الرقيق ــ خير منه ، للسبب ذاته ، وهو أنه بإيمانه قريب إلى قلب المؤمنة .

وتعلل الآية تحريم زواج المؤمنة من المشرك ، والمشركة من المؤمن بقول الله تعالى : « **اولئك يدعون الى النار** » (٢٢) .. أى أن المشركين بشركهم يوجهون غيرهم إلى الكفر برسالة الله ويسوقونهم عن طريق الخداع بالحياة المادية ، والانحراف والطغيان بها ، إلى عذاب النار فى الآخرة . بينما دعوة الله فى رسالته التى يحملها الرسول ــ أى رسول ــ والتى يؤمن بها أتباعه . توصل إلى المستوى الإنسانى فى الحياة ، وبالتالى توصـل فى الآخرة إلى الجنة ، كما توصل إلى غفران الله ــ إن شاء ــ عن الأخطاء التى تكون قد ارتكبت قبل الإيمان .

وهكذا : فرق واضح بين المصير إلى النار .. والمصير إلى الجنة ، كالفرق فى الدنيا بين المشرك أو المادى أو الجاهلى من جهة ، والمؤمن بالله من جهـة أخرى .

* * *

● **حيطة المؤمنين فى صلاتهم بالمخالفين للايمان :**

.. مبدأ يبقى على المجتمع تماسكه وبقاءه وهو أن يكون ولاء الأفـراد فيه لبعضهم بعضا ، وليس لأجنبى عنهم مخالف لهم ، دونهم . ومعنى الولاء : الصداقة .. والمحبة .. والمودة .. والطاعة .. والتعاون . وهذا المبدأ يحرص القرآن الكريم كل الحرص على أن يكون سائداً فى مجتمع المؤمن ، لصالح المجتمع ، ولصالح المؤمنين أنفسهم . يقول الله تعالى :

« **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين** »(أى لا يرتبط آفراد المجتمع الذين تتميز علاقتهم ببعض بالمعانى الإنسانية ، بصداقة مع غيرهم ممن لا يرون فى الحيـاة إلا المبادلة المادية ، متجـاوزين بهـا إخوانهـم فى الإيمان) **ومن يفعـــل ذلك فليس من الله فى شىء** (**ومن يصـــادق**

---

(٢١) البقرة : ٢٢١ (٢٢) البقرة : ٢٢١

المخالفين له ، دون إخوانه فى الإيمان : فليس مطيعاً ولا مؤمنـا بشىء على سبيل الحقيقة مما ينصح الله المؤمنين به . وهذا الحكم ينطوى على تحذير شـديد فى إيثار المخالف بالولاء والصداقة ، دون المؤمنين الآخـرين) . **الا أن تتقوا منهم تقاة ،** (إلا فى حالة واحدة يؤذن فيها للمؤمنين بالتعبير عن الولاء للمخالف وهى تقاة صلفه وطغيانه ، فى وقت لا تملك فيه الأمة المؤمنة مواجهة هذا المخالف : فى قوته ، وفى إعداده للانقضـاض والتشتيت) . **ويحذركم الله نفسه ،** (بسبب مخـالفة ما يأمـركم به هنـا) **والى الله المصير** » (٢٣) ..

وإذ ينهى الله عن ولاء المؤمن للمخالف له ، مؤثراً له على ولائه للمؤمن معه فى مجتمعه فإنه يكشف له عن الموقف النفسى الذى لا يحيد عنه المخالف لدين الله ضد المؤمن به . وهو عداء ، وتربص ، وأمل يجب أن يحيط به كل عاقل .

أما العداء فيكمن فى مواصلة الجهد فى الوقيعة بين المؤمنين وإفسـاد أحوالهم .

وأما التربص فإنهم يتربصون بهم السوء والشر دائماً .

وأما الأمل ففى الرغبة الدفينة فى أن يسود العنت وتسود المشقة حيـاة المؤمنين . يقول الله تعالى :

« **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم** (أى من مخالفين لكم فى الاتجاه والإيمان فى الحياة . والبطانة هى النخبة المختارة التى تؤتمن على الأسرار ، ويوثق بها عند المشورة) **لا يألونكم خبالا** (أى لأنهم دائبو السعى لإفساد أحوال المؤمنين) **ودوا ما عنتم** (**ولأنهـم يرغبـون ويؤملون فى** إيقاعهـم فى المشاكل والمشـأق والعنت) **قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر ،** (وفى المناسبة تلو المناسبة تبدو منهم البغضاء للمؤمنين عند الحديث معهـم ، ولكن ما تخفيه نفوسـهم ضـدهم أعظم بكثير) **قد بينا لكم الآيات ، ان كنتم تعقلون** » (٢٤) .. إلى أن يقـول :

---

(٢٣) آل عمران : ٢٨ (٢٤) آل عمران : ١١٨

« **ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها** » (وأملهم فى أن تسوء أوضاع المؤمنين دائماً . لأنهم يفرحون بذلك . وهم يتمنون أن يكونوا دائماً فرحين) **وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً** ، (**ولا يرهبكم** أيها المؤمنون ضجيج أعدائكم المخالفين لكم فى اتجاهكم وفى دينكم فى الحياة ، ولا يخيفكم تدبيرهم للمؤامرات ضدكم فى داخل مجتمعاتكم وفى خارجها . وبالصبر وباتقاء الله وطاعته فيما أمر أو نهى عنه يمكنكم أن تتقوا ضررهم وما يبيتون لكم من سوء) **ان الله بما يعملون محيط** » (٢٥) .. (فالله الذى ينصحكم باتخاذ هذا الموقف من مخالفيكم فى الإيمان يعلم تمام العلم بنفوسهم وبمدى جهدهم فى الباطل والضلال . فهو إذ ينصحكم على علم شامل بما يدور حولكم وفى الكون كله) .

وهكذا لا يتوزع الولاء فى المجتمع الإسلامى بين داخله وخارجه . اتجاه الولاء فيه واحد ، نحو المجتمع نفسه والمؤمنين فيه وحدهم دون غيرهم . ومن يفعل غير ذلك ويولى وجهه جهة أخرى أجنبية عنه ، فليس من دين الله فى شىء .

والعاقل وحده هو الذى يدرك أبعاد هذا المبدأ من مبادىء القرآن فى المجتمعات الإنسانية .

* * *

● **العدل لا تسقطه خصومة أو بغضاء :**

حرص الإسلام على العدل وتطبيقه بين المؤمنين بعضهم مع بعض ، أو مع أعدائهم هو حرص منه على وصول الحق لأصحابه أياً كان موقفهم . فالعدل يجب أن يقر فى ذاته وأن تنحى عن طريقه العقبات النفسية ، وهى عقبات الخصومة والعداوة والبغضاء . فهو الركيزة فى علاقات الناس ، وهو الدليل العملى على أن المؤمنين بالله أصحاب إنسانية فى علاقاتهم بغيرهم .

ليس غريباً أن يباشر المؤمنون مبدأ العدل فيما بينهم ، أو أن يوصى

---

(٢٥) آل عمران : ١٢٠

الدين بممارسته فى تعامل بعضهم مع بعض . ولكن إنسانية الدين تبدو فى أن يأمر المؤمنين به أن يحكموا بالعدل بين الأعداء إذا التجأوا إليهم أو بين بعض من هؤلاء ببعض آخر من المؤمنين . يقول القرآن الكريم :

« **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا** ،(أى لا تحملكم عداوة مجموعة من الناس على عدم العدل معهم) **اعدلوا هو أقرب للتقوى** » (٢٦) ..

وتأكيد القرآن لمباشرة العدل مع الأعداء يجعل من القيم العليا فى حياة الناس مبادىء لا تتغير إطلاقاً ، كما يجعل منها موئلا تطمئن إليه النفوس ، بغض النظر عن الاختلاف بين الأفراد أو الجماعات فى النظرة إلى الحياة .

.. إن فى إلزام المؤمن بأن يعدل مع خصمه أو عدوه ، دعوته إلى عدم تحكيم الميول والنزعات فى قضية أساسية يتوقف عليها نظام المجتمع . وهى قضية إحقاق الحق فى ذاته .

وإذا كان يطلب من المؤمنين أن يعدلوا مع خصومهم فبالأولى يطلب من طوائف المسلمين ومجموعاتهم أن يمارسوا العدل فيما بين طوائفهم ومجموعاتهم ، مجموعة الرعية مع حكامهم ، ومجموعة العمل مع أصحابه . أى مجموعة مع أرباب العمل .

يقول الله تعالى : « **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا** (أى اختلفوا وتخاصموا إلى درجة القتال بعضهم لبعض) **فأصلحوا بينهما** » (.. فيطلب من المؤمنين جميعاً . وفى مقدمتهم الولاة والحكام — أن يتدخلوا بالصلح : فيما بين طائفة وأخرى .. وأن يكون الصلح قائماً على أساس العدل الواضح : « **فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ، إن الله يحب المقسطين** » (٢٧) ..
ولا يرضى بحال أن تفتات طائفة على حقوق طائفة أخرى ، أو أن تمارس طائفة الاعتداء فى صوره العديدة على طائفة أخرى . وعندما يقع مثل هذا الاعتداء يجب على الأمة التصدى له) **فإن بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله** » (٢٨) ..

---

(٢٦) المائدة : ٨
(٢٧) الحجرات : ٩
(٢٨) الحجرات : ٩

فالإسلام لا يرضى لأرباب العمل مثلا أن يعتدوا على حقوق العمال فى الحياة الكريمة . كما لا يرضى للعمال أنفسهم ــ فضلا عن أن يوصيهم ــ بأن يسلكوا مسلك الاعتداء على أرباب العمل فى رؤوس أموالهم بالتخريب ، أو بما يجر إلى خسارتهم بالتوقف عن العمل ، أو بعدم اتقانه أو بالإساءة إليه فى صورة ما .

ويعلل وجوب تدخل الأمة ، وفى المقدمة الولاة والحكام ، عند نزاع الطوائف : بأن المؤمنين جميعا إخوة من جانب ، وبأنهم جميعا أصحاب اعتبار واحد فى الإنسانية من جانب آخر ، ومن أجل ذلك يعقب القرآن على الآية السابقة ، بقول الله تعالى :« **انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون** » (٢٩) ..

ثم بقــوله : « **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن** » (٣٠) ..

وقضية الأخوة والمساواة فى الاعتبار البشرى بين الطوائف جميعا تقضى بألا يكون ظلم أصلا ، فإن وقع ظلم أو اعتداء من طائفة على أخرى بسبب خلاف بينهما فالأمة كلها مطالبة بالتدخل لإصلاح الشأن وتحقيق العــدل فى ذاته .

وهكذا من تربية المؤمن : أن يروض نفسه على العدل مع نفسه وغيره ومع عدوه الخارجى ، ومخاصمه فى الداخل ، والمؤمنون لو عرفوا دينهــم ما نصحوا بعض طوائف الأمة بسفك الدماء أو بالتخريب وتبديد الأمــوال فى سبيل تحقيق حق مشروع أو متوهم لهذا البعض .

* * *

(٢٩) الحجرات : ١٠

(٣٠) الحجرات : ١١